(الجـــزء الثامن)　　(المجلد الخامس والثلاثون)

المنار

أنشئ سنة ١٣١٥

فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صُوًى و«مناراً» كمنار الطريق

ربيع الثاني سنة ١٣٥٩هـ　　مايو سنة ١٩٤٠ م

تفسير القرآن الحكيم

تفسير بليغ أدبي عصري إرشادي اجتماعي سياسي

« وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ . أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » الآية ٥

بعد ذكر العقيدة الأولى وهي عقيدة التوحيد ومعرفة الصانع جل وعلا ، وإفاضة القول فيها وذكر الدلائل الكونية لذوي اليقين والفكر والتعقل على وجود الباري سبحانه تناولت الآيات العقيدة الثابتة من أصول العقائد ، وهي عقيدة المعاد والبعث بعد الموت فذكرت الآية

أن هؤلاء الذين أرسل إليهم رسول الله ﷺ يستغربون هذه الاعادة بعد التحلل، ويرونها أمراً عجيبا مع أن العجيب حقا هو اعتقادهم هذا مع وضوح الدلائل عليه ونهوض البراهين المثبتة له فقال تعـــالى

« وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد »

أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن الحسن فى قوله تعالى « وإن تعجب فعجب قولهم » قال إن تعجب يامحمد عن تكذيبهم إياك فعجب قولهم . وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن زيد فى الآية قال إن تعجب يامحمد من تكذيبهم وهم رأوا من قدرة الله وأمره وما ضرب لهم من الامثال وأراهم من حياة الموتى والارض الميتة « فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد » أولا يرون أنه خلقهم من نطفة، فالخلق من نطفة أشد من الخلق من تراب وعظام

وذلك أن تقول وإن يكن ثمة شيء يستحق العجب فهو هذا القول منهم بعد وضوح الدلائل والبراهين على قدرة الله تبارك وتعالى لهم، وتكرير الاستفهام فى قوله أئذا كنا . وأئنا فيه إشعار بشدة استغرابهم لهـذا المعاد واستبعادهم إياه . وهذا مما يضاعف العجب من جحودهم هذا . وفى التعبير بالتراب بدلا من الموت وبالخلق الجديد بدلا من الاعادة تصوير دقيق لشدة استنكارهم لهـذا الجحود وعدم تصورهم إمكان البعث بعد الموت

ثم وضحت الآية الكريمة سر ذلك الجحود وسببه فقال تبارك وتعالى

« أولئك الذين كفروا بربهم » فالسبب الاول لجحودهم البعث هو كفرهم بالله تبارك وتعالى وعدم تقديرهم لعظمته وجليل قدرته فلو علموا أن قدرته تبارك وتعالى فوق التقيد بالاسباب والوسائط العادية وأنه ماشاء فعل «إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » لهان عليهم الخطب ولوجدوا أن هذا المعاد أمر داخل فى حيز القدرة لا غرابة له ولا مشقة « ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الارض إذ أنتم تخرجون . وله من فى السموات والارض كل له قانتون » ولكنهم لما كفروا بالله وظنوا عدم القدرة أو عدم كمالها أو انكار العلم أو انكار كماله أو انكار الصدق الى غير ذلك من صفات الكمال التى يتصف بها المولى جل وعلا لما كانت عقيدتهم فى ربهم هكذا صعب عليهم أن يتصوروا سهولة الاعادة بعد الموت .

« وأولئك الاغلال فى أعناقهم » وسبب آخر هو هـذا الجمود الذى استولى عليهم فلم يطلقوا لعقولهم عنان الفكرة ولم يتأملوا فيما بين أيديهم وما خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم من دلائل القدرة ورضوا بالتقليد الاعمى لاسلافهم وآبائهم وجمدوا على ماورثوا من فاسد عقائدهم لما وضعوا فى أعناقهم هذه القيود والاغلال من التقليد والجمود لم يكن لهم مجال الى ادراك الحقيقة الواضحة حقيقة الايمان بالمعاد والتسليم بالبعث والنشـور فتكون الآية على ذلك كناية عن الجمود والتقليد المانع عن ادراك الحق وتعرف أصوله وقواعده وبنحو هذا قال الاصم

وتؤيده الآية الكريمة فى سورة يس « انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى الى الأذقان فهم مقمحون » قال أبو عبيدة هو مثل ضربه الله لهم فى فى امتناعهم من الهدى كامتناع المغلول وقال الشاعر « لهم عن الرشد أغلال وأقياد » ولا ريب فى أن الجحود أشد ما يصد الناس عن ادراك الحقائق

وذهب جمهور المفسرين الى أن الآية على ظاهرها وأنها وعيد لهؤلاء الجاحدين على جحودهم وتصوير لحالهم يوم القيامة . وبيان لما ينتظرهم من عذاب فهو من قبيل قوله تعالى : « اذ الاغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون » الآيات ثم بينت الآية بعد ذلك جزاءهم على هذا الجحود فقال تبارك وتعالى :

« وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » فهؤلاء الجاحدون للمعاد المكذبون بالبعث سيذوقون النار ويخلدون فيها ، وهذا هو العقاب الطبيعى لهم فمن جحد المعاد وكذب بالجزاء جوزى بما كذب به حتى يعلم أحقية الخبر وصدق المخبر « وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون »

الاسلام والمعاد

جاء الاسلام الحنيف يقرر أن للناس حياة بعد هذه الحياة الدنيا هى الدار الآخرة وأنها الدار الباقية حقا الكاملة النعيم الشديدة العذاب

كذلك . وأن الناس يبعثون من قبورهم بعد الموت ليحاسبهم الله على ماقدموا من الأعمال « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » وأن هذا البعث سيكون للاجسام وللأرواح جميعاً وأن هذا النعيم أو العذاب حسى ومعنوى معاً وآيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ ناطقة بذلك كله على وجه لا يحمل التأويل ولا التعطيل. وقد سلك القرآن فى تقرير هذه العقيدة ورد الشبهات عنها وتصوير ما يكون من شأن القيامة وأهوالها وذكر المناظرات بين أهل الطاعة وأهل العصيان فيها وبيان الغاية منها والاستدلال على ذلك كله تارة بعجائب صنع القدرة الالهية وأخرى بالمشاهدالكونيةمن الايجاد بعد الاعدام وغرائب حياة الجنين والنبات ولفت الانظار الى ابتداء الخلق على غير مثال والاعادة أهون من الابتداء وأنت ترى ذلك كله منثوراً فى ثنايا كتاب الله تبارك وتعالى .وفى أحاديث رسـول الله صلى الله عليه وسلم

واليك بعض هذه الايات البينات

(١) فى سورة الاسراء « وقالوا أئذا كنا عظاماً ورفاتاً أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً قل كونوا حجارة أو حديداً أو خلقا مما يكبر فى صدوركم فيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة فسينغضون اليك رءوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريباً يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا » الآيات

٤٩ – ٥٢ وفيها الاستدلال على البعث بسهولة الخلق الاول .

(٢) في سورة الحج « يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا . وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج . ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور » الايات ٥ – ٦ وفيها الاستدلال على البعث بأطوار خلق الانسان في بطن أمه وأطوار حياة النبات في الارض بهذا الاسلوب المعجز الرائع

(٣) في سورة المؤمنون « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون . ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين » الايات ١٢ — ٢١

وفيها الاستدلال على البعث بغرابة أطوار خلق الانسان وعجائب قدرة الله تبارك وتعالى على ابداع سواه من المخلوقات

(٤) وفى سورة يس « أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين . وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم . الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون . أو ليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم . انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون . فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون » الايات ٧٧ ـ ٨٣ · وفيها ملخص أدلة البعث التى تدور فى القرآن الكريم ففيها الاستدلال بالانشاء الاول وبعجائب قدرة الله تبارك وتعالى . وخلق الانسان من من النطفة والمشابهة بين المخلوقات فى الايجاد فمن أوجد هذا الخلق فهو على مثله قادر ثم بتتويج ذلك كله بذكر اتصاف البارى جل وعلا بالخلق والابداع وعلم ذلك علما لا جهالة معه ولا صعوبة فى شىء أمامه « انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون »

(٥) وفى سورة ق « بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شىء عجيب . أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد . قد علمنا ما تنقص الارض وعندنا كتاب حفيظ . بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم فى أمر مريج أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج والارض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ونزلنا من السماء ماء مباركا

فأنبتنا به جنات وحب الحصيد . والنخل باسقات له طلع نضيد . رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج » الآيات ١ — ١١

وفيها الاستدلال بعجائب هذا الخلق وما فيه من تحليل وتركيب وإبداع وتصوير على سهولة اعادة الموتى من تراب وفيها كذلك الرد على شبهة تداخل الاجساد بعضها في بعض بالتحلل والنبات · فهذه الآية الكريمة تبين أن ما تنقصه الارض من أجساد الموتى معلوم عند الله تبارك وتعالى ثابت في كتاب حفيظ . فاذا جاء وقت البعث وجدت الاجساد الذاهبة من مادتها الاصلية على النحو الاول مادة وصورة وكما وكيفا فلا تغيير ولا تبديل .

وفي سورة الواقعة اجمال رائع لأدلة البعث في القرآن الكريم في قول الله تبارك وتعالى « وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون » هذه أقوالهم وتلك مذاهبهم وقد جاء القرآن يقرر هذه الحقيقة الآتية « قل ان الاولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم » ويتوعد من كذب بها أشد الوعيد « ثم انكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم هذا نزلهم يوم الدين » ثم أخذ يورد البراهين الدالة على صدق البعث والنشور ووقوعه فاستدل بخلقهم أنفسهم « نحن خلقناكم فلولا تصدقون » ثم لفت أنظارهم الى عجائب ما في النطفة ، وذلك أن الماء المنوي يحتوي على مئات الملايين

من الملقات التي تصلح كل منها لايجاد رجل اذا التقت ببويضة اللقاح حتى قيل ان الليتر المربع من ماء الرجل يحتوي على نحو مليون من هذه الملقات فكم في قذفة واحدة من ماء الرجل من أناس لو كانوا يعقلون . لفتهم القرآن الى هذا فقال (أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم في ما لا تعلمون) ثم لفت نظرهم كذلك الى الخلق الاول ، ثم الى عجائب النبات ثم الى خلق الماء والماء بيئة الحياة الاولى ، ثم الى عجيبة العجائب وهي كون النار في الشجر الذي لا ينبت بغير الماء ومن يستطيع أن يوجد من عنصر الاوكسيجين نارا وماء فيكون قوامهما وهما ضدان لا يأتلفان يستطيع أن يوجد الموتى بعد التحلل ويعيدهم الى سيرتهم من الحياة فذلك قوله تعالى (ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون ، أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون انا لمغرمون بل نحن محرومون ، أفرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون ، أفرأيتم النار التي تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فسبح باسم ربك العظيم) الايات ٤٧ ـ ٧٤

(٧) وفي سورة الزمر (الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى الله الموت ويرسل الاخرى الى أجل

مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) الآية ٤٢ وفيها الاشارة الى أن البعث يقظة كبرى كما أن الموت نوم أكبر ونحن نرى كل يوم وليلة بعثا وموتا جزئيين لهذه الكائنات الحية

وفي القرآن الكريم كثير من الآيات المطهرة تؤكد هذه المعاني وتوضحها وفيما أوردنا بلاغ والحمد لله

وقد جاءت السنة المطهرة مبينة وموضحة وشارحة لما جاء في هذه الآيات المطهرة ، ولقد استدل رسول الله صلى الله عليه وسلم في عبارة وجيزة بليغة بكثير من البراهين التي مرت في الآيات الكريمة من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لقريش في أول خطبة أعلن بها دعوته (حمد الله وأثنى عليه ثم قال ان الرائد لا يكذب أهله والله لو كذبت الناس ما كذبتكم ولو غررت الناس ما غررتكم والله الذي لا اله الا هو اني لرسول الله اليكم حقا والى الناس كافة والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون ولتجزون بالاحسان احسانا وبالسوء سوءا وانها للجنة أبدا أو النار أبدا وانكم لاول من أنذر بين يدى عذاب شديد) وروى أحمد ورزين بسندهما عن أبي رزين العقيلي ، قال قلت يارسول الله كيف يعيد الله الخلق وما آية ذلك قال أما مررت بوادى قومك جدبا ثم مررت به يهتز خضرا قلت نعم . قال فتلك آية الله في خلقه كذلك يحيي الله الموتى)

بهذا الاسلوب البديع جاء القرآن الكريم والسنة المطهرة عقيدة

البعث في نفوس الناس وهي أمر مركوز في هذه النفوس مستقر فيها لا يحجبها من التسليم به والاذعان له الا هوى جامح أو شهوة غالبة أو مادية كثيفة أو خبل في التصور والادراك ، وما أحسن ما قرره الشيخ محمد عبده في رسالة التوحيد في هذا المعنى اذ يقول (اتفقت كلمة البشر موحدين ووثنيين مليين،وفلاسفة إلاقليلا لا يقام لهم وزن على أن لنفس الانسان بقاء تحيا به بعد مفارقة البدن وأنها لا تموت موت فناء وإنما الموت المحتوم هو ضرب من البطون والخفاء وإن اختلفت منازعهم في تصوير ذلك البقاء وفيما تكون عليه النفس فيه وتباينت مشاربهم في طرق الاستدلال عليه . هذا الشعور العام بحياة بعد هذه الحياة المثبت في جميع الانفس عاليها وجاهلها وحشيها وإنسيها باديها وحاضرها قديمها وحديثها لا يمكن أن يعد نزعة عقلية أو نزعة وهمية وإنما هو الهام من الالهامات التي اختص بها هذا النوع

قد الهمت العقول وأشعرت النفوس أن هذا العمر القصير ليس هو منتهى ما للانسان في الوجود بل الانسان ينزع هذا الجسد كما ينزع الثوب من البدن ثم يكون حيا باقيا في طور آخر وإن لم يدرك كنهه، ذلك الهام يكاد يزاحم البديهة في الجلاء ، اه

وثم برهان آخر غيرهذا البرهان الفطري ألفتك اليه وأوجه نظرك نحوه ذلك ان نظام هذا الكون وما فيه ومنزلة الانسان منه يدلك أوضح الدلالة على أن هذه الحياة القصيرة الامد التي تحسب بأعوام قلائل مها

طالت فهى مدة محدودة وفترة معدودة لا تتناسب أبدا مع الحكمة فى تكوين هذا الانسان وابداعه هذا الابداع وتمييزه بهذا العقل المفكر والفكر المدبر الذى سخر الله له ما فى السموات وما فى الارض جميعا فاذا انتهت سعادة الحيوان بحصوله على مطالب جسمه وانتهت سعادة النبات ببلوغه حد نموه فان نفس هذا الانسان قد خلقت مستعدة لقبول معلومات غير متناهية من طرق غير محصورة شيقة الى لذائذ غير محدودة ولا واقفة عند غاية مهيأة لدرجات من الكمال لا تحددها أطراف المراتب والغايات ومن كان كذلك لا يصح أن يكون بقاؤه قاصرا على أيام أو سنين معدودات وتأمل سر ذلك الخلق فى قول الله تبارك وتعالى (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم)

والقول بأن بعث الاجساد بعد فنائها أمر يصطدم بنواميس الكون المقررة ولا يتفق مع المشاهدة كلام سقيم لا حجة عليه ولا برهان معه.

فهذه النواميس نفسها تدعم ذلك المعنى وتدل عليه ومتى كانت النواميس الكونية تتحكم فى القدرة الالهية والله غالب على أمره ومن ذا الذى يستطيع أن يدعى العلم بكل النواميس حتى يحكم بمخالفة هذا الشىء لها أو موافقته اياها. ومن ذا الذى يستطيع أن يزعم أن نواميس المادة وقواعدها تطبق على عالم غير عالمها ونظام لا يتصل

بتعلمها . ونحن نرى من عجائب الظواهر الروحية في هذا العصر ما لا يقضى منه العجب ، وأين هؤلاء الجامدون على نواميس المادة وقوانينها مما يفعل فقراء الهند .

وما أبدع الاشارة الى هذه المعاني في قصة أهل الكهف (وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها)

وفي قصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها ، وفي قصة ابراهيم إذ قال « رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي . قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم »

﴿ الشيخ محمد فاضل رحمه الله ﴾

أخ من كرام الاخوان وفاضل حقا يندر مثله في أهل هذا الزمان لم يكن عظيم الثروة والمال ولكنه كان غني النفس واضح معالم الكمال ولم يكن من العلماء الرسميين ولكنه من الاتقياء الربانيين . كان سليم العقيدة طاهر القلب سامي النفس غيوراً على دين الله أشد الغيرة محبا للمنار حريصاً على اقتنائها وإذاعتها والدعوة إليها وعرف الاخوان المسلمين فلم يتردد في السير معهم والاعجاب بمسلكهم وأغرم بهذا المسلك وآمن بصلاحيته فسرعان ما بدأت تبدو آثاره في كل شئون حياته فأصبح خلقه إخوانيا وبيته إخوانيا وجهاده إخوانيا وتفكيره إخوانيا واصطبغ بدعوة الاخوان في كل شيء وما دعوة الاخوان إلا صدى الدعوة الأولى والحمد لله

فقدنا الشيخ محمد فاضل وهو حبيب إلينا أثير عند كل من عرفه فشعرنا بفراغه العظيم من بعده ونسأل الله له الرحمة الواسعة والدرجة العالية وأن يسكنه فسيح الجنة وأن يلهمنا الصبر عليه ويبارك في نجله محمد ويجعل فيه العوض من أبيه آمين

المرأة المسلمة

كتب الى كاتب فاضل يطلب أن أكتب عن المرأة وموقفها من الرجل وموقف الرجل منها ، ورأى الاسلام فى ذلك وحث الناس على التمسك به والنزول على حكمه .

لست أجهل أهمية الكتابة فى موضوع كهذا ولا أهمية اعظام شأن المرأة فى الامة ، فالمرأة نصف الشعب بل هى النصف الذى يؤثر فى حياته أبلغ التأثير لانه المدرسة الاولى التى تكون الاجيال وتصوغ الناشئة ، وعلى الصورة التى يتلقاها الطفل من أمه يتوقف مصير الشعب واتجاه الامه وهى بعد ذلك المؤثر الاول فى حياة الشباب والرجال على السواء

لست أجهل كل هذا ولم يهمله الاسلام الحنيف وهو الذى جاء نوراً وهدى للناس ينظم لهم كل شئون الحياة الى أدق التنظيم وأفضل القواعد والنواميس أجل لم يهمل الاسلام كل هذا ، ولم يدع الناس يهيمون فيه فى كل واد بل بين لهم الامر بيانا لايدع زيادة لمستزيد .

وليس المهم فى الحقيقة أن نعرف رأى الاسلام فى المرأة والرجل وعلاقتهما وواجب كل منهما نحو الآخر فذلك أمر يكاد يكون معروفاً لكل الناس ولكن المهم أن نسأل أنفسنا هل نحن مستعدون للنزول على حكم الاسلام ؟

الواقع أن هذه البلاد وغيرها من البلاد الاسلامية تتنفاها موجة ثائرة قاسية من حب التقليد الاوربى والانغماس فيه الى الاذقان

ولا يكفى بعض الناس أن ينغمسوا هذا الانغماس فى التقليد بل هم يحاولون أن يخدعوا أنفسهم بأن يديروا أحكام الاسلام وفق هذه الاهواء الغربية والنظم الاوربية ويستغلوا سماحة هذا الدين ومرونة أحكامه استغلالا سيئا تخرجها من صورتها الاسلامية إخراجا كاملا وتجعلها شيئا أخرى لا تتصل به بحال من

الاحوال ويهملون كل الاهمال روح التشريع الاسلامي وكثيرا من النصوص التي لا تتفق مع أهوائهم .

هذا خطر مضاعف في الحقيقة فهم لم يكفهم أن يخالفوا حتى جاءوا يتلمسون المخارج القانونية لهذه المخالفة ويصبغوها بصبغة الحل والجواز حتى لا يتوبوا منها ولا يقلعوا عنها يوما من الايام .

فالمهم الآن أن ننظر إلى الاحكام الاسلامية نظرا خاليا من الهوى وأن نعد أنفسنا ونهيئها لقبول أوامر الله تعالى ونواهيه وبخاصة في هذا الامر الذي يعتبر أساسيا وحيويا في نهضتنا الحاضرة .

وعلى هذا الاساس لا بأس بأن نذكر الناس بما عرفوا وبما يجب أن يعرفوا من أحكام الاسلام في هذه الناحية

أولا — الاسلام رفع قيمة المرأة وجعلها شريكة الرجل في الحقوق والواجبات

وهذه قضية مفروغ منها تقريبا ، فالاسلام قد أعلى منزلة المرأة ورفع قيمتها واعتبرها أختا للرجل وشريكة له في حياته هي منه وهو منها « بعضكم من بعض » وقد اعترف الاسلام للمرأة بحقوقها الشخصية كاملة وبحقوقها المدنية كاملة كذلك وبحقوقها السياسية كاملة أيضا وعاملها على أنها إنسان كامل الانسانية له حق وعليه واجب يشكر إذا أدى ونجازيه ويجب أن تصل اليه حقوقه والقرآن والاحاديث فياضة بالنصوص التي تؤكد هذا المعنى وتوضحه

ثانيا — التفريق بين الرجل والمرأة في الحقوق إنما جاء تبعا للفوارق الطبيعية التي لا مناص منها بين الرجل والمرأة . وتبعاً لاختلاف المهمة التي يقوم بها كل منهما وصيانة للحقوق الممنوحة لكليهما .

وقد يقال ان الاسلام فرق بين الرجل والمرأة في كثير من الظروف والاحوال ولم يسو بينهما تسوية كاملة ، وذلك صحيح ولكنه من جانب آخر يجب أن يلاحظ إنه أن انتقص من حق المرأة شيئا في ناحية فانه قد عوضها خيرا منه

في ناحية أخرى . أو يكون هذا الانتقاص لمأساتها وغيرها قبل أن يكون لشيء آخر . وهل يستطيع أحد كائنا من كان أن يدعي أن تكوين المرأة الجسماني والروحي كتكوين الرجل سواء بسواء . وهل يستطيع أحد كائنا من كان أن يدعي أن الدور الذي يجب أن تقوم به المرأة في الحياة هو الدور الذي يجب أن يقوم به الرجل ما دمنا نؤمن بأن هناك أمومة وأبوة .

أعتقد أن التكوينين مختلفين وأن المهمتين مختلفتين كذلك وأن هذا الاختلاف لابد أن يستتبع اختلافا في نظم الحياة المتصلة بكل منهما وهذا هو سر ما جاء في الاسلام من فوارق بين المرأة والرجل في الحقوق والواجبات .

(٣) بين المرأة والرجل تجاذب فطري قوي هو الاساس الأول للعلاقة بينهما وإن الغاية منه قبل ان تكون المتعة وما اليها هي التعاون على حفظ النوع واحتمال متاعب الحياة .

وقد أشار الاسلام إلى هذا الميل النفساني وزكاه وصرفه عن المعنى الحيواني أجل الصرف إلى معنى روحي ينظم غايته ويوضح المقصود منه ويسمو به من صورة الاستمتاع البحت الى صورة التعاون التام ولنسمع قول الله تبارك وتعالى « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة »

وعلى ضوء هذه الاصول العامة ننظر الى ما وضع الاسلام من نظم وطرائق

يتبع

حسن البنا

◄ احتجاب المنار ►

تأخر صدور المنار عن موعده هذه الشهور الماضية لأسباب معينة كانت بيننا وبين وزارة الداخلية المصرية ، وقد زالت والحمد لله ، وها هي المنار تعود إلى الظهور لتقوم بواجبها في ميدان الدفاع عن الاسلام الحنيف والدعوة اليه

ولغلو الورق غلواً عظيما وصل إلى أكثر من الضعف اضطررنا الى جعل العدد ثمانية وأربعين صفحة بدلا من ثمانين ونحن نأسف لهذا أسفاً شديدا ولكن الضرورة تحكمنا

وسيصدر العدد التاسع ان شاء الله في أوائل شهر جمادى الأولى والعاشر في أوائل جمادى الثانية بحول الله وقوته ، وبذلك يتم المجلد الخامس والثلاثون ويبدأ السادس والثلاثون والله الموفق والمستعان

فتاوى المنار

نفتح في هذا الباب الاجابة عن أسئلة المشتركين ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف وبعبر بما شاء من الالقاب ونجيب بحسب ترتيب الاستفتاء الورود ان شاء الله والله المستعان

حضرة المحترم رئيس تحرير المنار ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته « وبعد » فأرجو التكرم بإيضاح معنى خطيئة آدم عليه السلام وكيف يوسوس إليه الشيطان ؟ وكيف يتفق ذلك مع العصمة مع بيان توبته ، وهل ما يقال من أنه أمر في الباطن ونهى في الظاهر صحيح ؟ وهل جاءت هذه القصة في القرآن على سبيل التمثيل كما قال بعض المصريين وما معنى التمثيل عند من قال به أفيدونا أثابكم الله وغفر لنا ولكم .

محمود عسكر
معلم بطنطا منها قليوبية

والجـــواب والله أعلم

قص الله علينا في القرآن الكريم قصة آدم عليه السلام ، وأنه خلقه وسواه ونفخ فيه من روحه وأسكنه هو وزوجته الجنة ، ثم أمره ألا يأكل من الشجرة « وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » فوسوس لهما الشيطان وخدعهما وأقسم لهما إنه لمن الناصحين . فاغترا بنصيحته ، ونسي آدم ما عهد به إليه ربه ، فأكلا من الشجرة مع تحذير الله إياه من إبليس وجنوده ، ثم علما ما كان من أمرهما فندما وألهمهما الله تبارك وتعالى صيغة التوبة فقالا : « ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » فقبل الله توبتهما ولم يؤاخذهما على هذا العصيان إلا بأن أنزلهما إلى الأرض حيث استعمراها ونسلا فيها ، واستمرت الحرب سجالا

بين ذريتهما وبين الشيطان إلى يوم يبعثون . فمن تبع الشيطان فهو من الآثمين المعذبين . ومن حذره وخالفه فهو من المهتدين الناجين وسيبرأ هذا الشيطان من أتباعه يوم الدين ، ويكون بينه وبينهم ما قصه الله علينا من نبأه في سورة إبراهيم

« وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم . وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها بإذن ربهم تحيتهم فيها سلام » هذا مجمل ما قصه الله علينا في القرآن الكريم في مواضع عدة ومنه تعلم

(١) أن خطيئة آدم عليه السلام هي حسن ظنه بوسوسة إبليس حتى أكل من الشجرة

(٢) وأن توبته إنما كانت بإلهام الله تبارك وتعالى إياه أن يدعوه بما جاء في الآية الكريمة في سورة الأعراف « قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » وقد كان من هذه التوبة أن غفر الله له وتاب عليه كما قال تبارك وتعالى « ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى » سورة طه

أما كيف يوسوس له إبليس فذلك لأن قبول النفس البشرية للوسوسة أمر جبلي خلقي فيها والوسوسة تصل إلى النفس الانسانية وإن كان الشيطان بعيداً عنها كما يصل الصوت البعيد على تموجات الهواء أو ما هو أرق منه ولهذا لا تقدح الوسوسة بنفسها في العصمة فكل بني آدم قابلون لها معرضون إليها بأصل الخلقة وإنما يعصم عن ذلك من عصم منهم برعاية إلهية وحفظ رباني من الله تبارك وتعالى مع حسن الاحتراز ودوام اليقظة والبصر وسد مداخل الشيطان إلى القلب وتضييق مجاريه وشغل القلب بذكر الله تبارك وتعالى « إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا » على أنه قد ورد أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم

ولا مانع من أن يكون إبليس قد دخل الجنة بعد أن طرد منها فالتقى بهذا الدخول أمر الله تبارك وتعالى عاصياً له وما زال يزين له الأكل من الشجرة « ويفتله في الذروة والغارب ويمنيه بحصول الأماني ويرققه بالقول اللين حتى تمكن من نفسه وأنساه أنه عدوه الذي حذره الله منه أشد الحذر »

وأما كيف يعصي آدم وهو نبي والأنبياء معصومون من الوقوع في الذنوب فقد أجاب كثير من الناس عن ذلك بوجوه :

الأول — أن يكون ذلك منه على سبيل النسيان لا وسمي خطيئة أو معصية وغواية لعلو منزلته وعظيم تقريب الله إياه وكبير فضله عليه وكلما قرب العبد من ربه وعلت منزلته كلما كان ذلك أدعى إلى اليقظة وتمام التذكر والانتباه

وقد صرحت الآية بلفظ النسيان ويؤيد هذا قراءة « فَنُسِّيَ » بالتشديد على أن المراد فأنساه إبليس أمر الله تبارك وتعالى وبهذا قال بعض المفسرين ولكن الجمهور على أن نسي هنا بمعنى ترك لا بمعنى سها

والثاني — أنه تأول فيما عمل بأنه فهم أن المراد بالأمر والنهي الارشاد فقط لا الالزام كما حمل الفقهاء الأمر بكتابة الدين على أنه أمر إرشاد لا أمر إيجاب ولا إثم في تركه ويرد على هـذا تصريح القرآن بالظلم المترتب على قربان الشجرة في الآية الكريمة « ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين »

والثالث — أن ما حصل من الذنب صغيرة . ويرد على هذا أن القول بعدم عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الصغائر قول مرجوح . ويرد عليه كذلك تصريح القرآن الكريم بأن هذه المخالفة عصيان وغواية ترتب عليها عقاب وتوبة وإخراج من الجنة

والرابع — أن ذلك كان قبل النبوة المستلزمة للعصمة من المعصية . وإلى هذا ذهب أبو بكر بن فورك قال بدليل ما في آيات طه من ذكر المعصية قبل ذكر الاجتباء والهداية وهو كلام حسن لولا أن ورود الأمر والنهي من الله

تبارك وتعالى لآدم بدون واسطة من أمارات النبوة ودلالاتها وقد كان ذلك قبل الأكل قطعا ، ومن جهة أخرى فإن النفس أميل إلى أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصومون من المعصية على كل حال وإن لم يكن ذلك رأى جمهور علماء العقائد وإن لم ينعقد الاجماع إلا على العصمة بعد النبوة

والخامس — أن الله تبارك وتعالى أمر آدم بعدم الأكل من شجرة وأراه إياها فظن آدم أنه منهي عن هذه الشجرة بعينها لا بجنسها فأكل من شجرة أخرى من جنسها ولم يأكل من التي انصب عليها النهي بالذات ، وهذا تأويل حسن وإن كان عليه مسحة التحايل

وهناك تصور تطمئن اليه النفس وذلك أن يقال إن حقيقة المعصية مخالفة أمر الله تبارك وتعالى قصدا وحقيقة الطاعة هي امتثال أمر الله تبارك وتعالى قصدا كذلك ، فمناط المؤاخذة أو المثوبة في الطاعة والمعصية النية والقصد ومصداق قوله تبارك وتعالى « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم »

ولا شك أن آدم عليه السلام حين أكل من الشجرة لم يكن يقصد معنى المخالفة ولم يكن يدري نية العصيان بل لعله كان يتحرى بذلك المبالغة في طاعة الله تبارك وتعالى بأنه سيصير ملكا خالدا دائم الطاعة والعبادة لربه ، وقد خدعه قسم ابليس له ، فأنساه الله بهذا الانخداع مع سابق التحذير والى هذا المعنى أشار ابن قتيبة فقال أكل ابليس من الشجرة التي نهي عنها باستزلال ابليس وخداعه اياه والقسم له بالله إنه لمن الناصحين حتى دلاه بغرور ، ولم يكن ذلك عن اعتقاد متقدم ونية صحيحة ، ويؤيد ذلك أن آدم لم يتفطن إلى أنه أخطأ إلا بعد أن عاتبه ربه كما قالت الآية الكريمة « وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين » وحينئذ ألهمهما التوبة فجأرا إلى الله تبارك وتعالى « قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » وهذا المعنى واضح مفهوم في سياق الآيات كلها تقريباً .

وقد آخذه الله على هذا التأثر بوسوسة الشيطان وخدعه مؤاخذة شديدة حتى تاب عليه على حد القاعدة المعروفة حسنات الأبرار سيئات المقربين

وما يقال من أنه أمر في الباطن ونهي في الظاهر كلام مردود ولا دليل عليه والأخذ به هدم التكليف في الحقيقة ، وقد جاء في كلام بعض الصوفية شيء من هذا في التفريق بين معصية الولي والفاسق ، وأمثل ما قالوه في ذلك إن الولي لا يقصد المعصية ولا يفرح بها ولا يصر عليها ، وهذا كلام لا غبار عليه وأما ما زاد عليه فهو لم يقم عليه دليل .

وأما القول بأن هذه القصة وردت في القرآن الكريم على سبيل التمثيل فهو قول مردود كذلك ـ والآيات الكريمة صريحة فيما وردت له لا تحتمل التأويل ، وإذا جاز لنا أن نؤول هذه الآيات مع صراحتها ووضوحها ، فقد صار ذلك قرينة للخروج بالقرآن كله عن معانيه الواضحة ، وهذا مذهب لا يبدع من نحلة الباطنية شيئاً ـ وليس هناك ما يقتضي العدول عن الظاهر

وقد ادعى بعض المعصريين الذين أشربت نفوسهم المعارف والعلوم الفرنجية أن ظاهر هذه الآيات يصطدم بالنظريات العلمية الحديثة التي جاء بها « داروين » وأمثاله من علماء الحيوان والبحث في أصل الأنواع ؛ وهذا كلام لا تدقيق فيه ودعوى لا صحة لها فإن داروين نفسه لم يدع أن الإنسان فرع عن غيره من الحيوان سواء أكان هذا الحيوان قرداً أم غيره ـ

كان داروين يدرك تمام الإدراك أن نظريته لا تفسر وجود الأنواع تفسيراً نهائياً يثلج الصدر ويعترف بأن هناك عوامل خفية لا يعرفها اشتركت مع ناموس الانتخاب الطبيعي في تنويع الأحياء فقد قال في كتابه أصل الأنواع « أنا مقتنع بأن ناموس الانتخاب الطبيعي كان العامل الرئيسي لحدوث التنوعات في الأنواع ولكنه لم يكن العامل الوحيد في إحداث ذلك التغير » فهو هنا يشير إلى أمرين

هامين الأول أن ناموس الانتخاب الطبيعي في رأيه السبب الرئيسي لحدوث التنوعات في الأنواع لا في حدوث الأنواع نفسها ، والثاني أنه ليس الناموس الوحيد في ذلك . وقد كتب دارون إلى السترهبات يقول له « اسمح لي بأن أضيف الى هذا بأني لست من قلة العقل بحيث أتصور بأن نجاحي يتعدى رسم دوائر واسعة لبيان أصل الأنواع » فإن هذا من غلو قليل العقول من جامدي مقلدة الفرنجة ؛ على أن هذا ليس كل ما في الأمر ، فقد ذهب كثير من العلماء الغربيين بخطئون نظرية دارون تخطئة تامة وينقضونها من أساسها ويؤلفون في ذلك الكتب الصافية ويدلون على ذلك بأدلة عليه يعتقدون صحتها كل الاعتقاد وإليك بعض الشواهد من كلام هؤلاء الناس أنفسهم .

(١) قال الاستاذ دوبار الالماني وهو من أقطاب الفريولوجيين والحفريين والبيولوجيين وأستاذ علم الأمبريولوجيا « علم الأجنة » في كتاب أسماه « دحض المذهب الداروني » بالنص « إن نرأى القائل بأن النوع الانساني متولد من القردة السيمانية هو بلا شك أدخل رأي في الجنون قاله رجل على تاريخ الانسان وجدير بأن ينقل إلى أخلافنا جميع الحالات الانسانية مطبوعة بطابع جديد ، يستحيل أن يقوم دليل هذا الرأي »

(٢) وقال الاستاذ فيركو الالماني موافقا الاستاذ دوكاترفاج الفرنسي في كتابه النوع الانساني بالنص « يجب علي أن أعلن بأن جميع الترقيات الحسية التي حدثت في دائرة علم الانتروبولوجيا « علم التاريخ الطبيعي للانسان » السابقة على التاريخ تجعل القرابة المزعومة بين الانسان والقرد تبعد عن الاحتمال شيئاً فشيئاً فاذا درسنا الانسان الحفري في العهد الرابع وهو الذي يجب أن يكون الانسان فيه أقرب إلى أسلافه، نجد إنساناً مشابهاً لنا كل الشبه فان جماجم جميع الرجال الحفريين تثبت بطريقة لا تقبل المنازعة بأنهم كانوا قوماً مجتمعاً عقره

الغاية وكان حجم الرأس فيهم على درجة يعتبر الكثير من معاصرينا أنفسهم سعداء إذا كان لهم رأس مثله . وإذا قابلنا بجموع الرجال الحقريين الذين نعرفهم الآن بما نراه في أيامنا هذه استطعنا أن نؤكد بكل جرأة بأن الأشخاص ناقصي الخلقة هم بين الرجال العصريين أكثر منهم بين الرجال الحقريين ولا أتجاسر أن أفترض بأننا في اكتشافاتنا الحفرية لم نصادف غير أصحاب القرائح السامية من أهل العهد الرابع والعادة أننا نستنتج من تركيب هيكل عظمى حضرى تركيب معاصريه الذين عاشوا معه في وقت واحد ، ومهما كان الأمر فيجب على أن أقول بأنه لم توجد قط جمجمة قرد تقرب حقيقة من جمجمة الانسان . . على أنه يوجد بين الانسان والقرد خط انفصال نهائي آخر . فاننا لا نستطيع قط أن نعلم الناس بأن الانسان يتولد من القرد أو من أي حيوان آخر بل لا نستطيع أن نعتبر ذلك من الأمور العلمية »

(٣) وقال الأستاذ ايلى دو سيون من العلماء الأمريكيين عن مذهب داروين في كتابه « الله والعلم » ما يأتى « بعد أن قاوم المذهب الداروني عشرين سنة تلك الكافحات الحقة التي قصدته وأحسوجه قضى عليه فقضاه غريبا بأن يهلك تحت ضربات أشد أشياعه غيرة عليه . . ثم ذكر بعد ذلك ما كتبه هربرت سبنسر في هدم ناموس الانتخاب الطبيعي وما كتبه « ويسمان » في هدم ناموس انتقال الصفات والخصائص المكتسبة وقد كانا عماد مذهب داروين

هذا قليل من كثير جدا جدا من أقوال العلماء الأوربيين في كتبهم ومجلاتهم في نقض رأى يعتقده جامدو مقلدة الأوربيين عندنا كل شيء في العلم الحديث ويتشدقون في الكلام عنه والتعصب اليه ، وليس ذلك كل ما في الأمر بل تمادى بعض العلماء الاوربيين ، فأخذ يحاول إثبات عكس هذا المذهب

فهل يحق لنا أمام كلام كهذا مهما تغالينا في قيمته علميا فهو لم يخرج عن

أنه فرض من الفروض العلمية أن نؤول كلام العليم الخبير ونصرفه عن الظاهر إلى التأويل والتمثيل ؟

ويحضرني كلام تقدم في هذا المعنى في تفسير المنار في سورة البقرة عند قوله تبارك وتعالى « وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الارض خليفة » جاء هنالك ما نصه « كما أخطأ من قالوا إن الدليل العقلي هو الاصل فيرد اليه الدليل السمعي ويجب تأويله لاجل موافقته مطلقاً ، والحق كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية : إن كلا من الدليلين إما قطعي وإما غير قطعي فالقطعيان لا يمكن أن يتعارضا وإذا تعارض ظني من كل منهما مع قطعي وجب ترجيح القطعي مطلقاً ، وإذا تعارض ظني مع ظني من كل منهما رجحنا المنقول على المعقول لأن ما ندركه بنقله الظن من كلام الله ورسوله أولى بالاتباع مما ندركه بعقله الظن من نظرياتنا الضعيفة التي يكثر فيها الخطأ جداً، فظواهر الآيات في خلق آدم مثلا مقدم في الاعتقاد على النظريات المخالفة لها من أقوال الباحثين في أسرار الخلق وتعليل أطواره ونظامه ما دامت ظنية لم تبلغ درجة القطع »

على أنه أورد بعد ذلك وقبله كلاماً على سياق الآيات، وذكر الرأي القائل بالتمثيل على أنه رأي الخلف ورأي الأخذ بالظاهر ونسبه للسلف وأكد في عدة مواضع أنه يقول بهذا الأخير . ونسبة القول بالتمثيل للخلف قول فيه نظر فما المقصود هنا بالخلف ؟ ومن الذي قال منهم بهذا الرأي ؟ سؤالان يحتاجان إلى الجواب ؟ على أن الذي يعنينا أن نتفق على الاعتقاد بأن الايات على ظاهرها وأن القصة حقيقة واقعة كما قصها الله تبارك وتعالى علينا في كتابه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

حسن البنا

فى محيط الدعوات

الكمال المزعوم — المذاهب العلمية السائدة — تقليد أعمى

— ٢ —

ولأمر ما وقف تقدم الاسلام . وانحصر النور الالهى الكريم بين أقوام لا يقدرونه . ونام المسلمون فى النور واستيقظ غيرهم فى الظلام . ولم يكن بد لغير المسلمين من التفكير فى قواعد تصح عليها أمورهم بعد أن اتضح قصور الأديان الباطلة وعدم غنائها فى هذه الشئون وبعد أن عجزت أيدى اللصوص عن التوسع بالمصباح الهادى لتسترشد على شعاعه المسلمون الشاردون وابتدأ التفكير الانسانى يخبط فى تفهم الحقائق العليا ومدارج ارتقاء النفس معلق لحل حلقا الفلسفة العملية . وصحيح أنه إلى غير مواطن النبوات الأولى يعود تاريخ الفلسفة وينبت جذع الشجرة التى تظل الآن علينا فروعها

وحقاً انه — إلى غير مواطن النبوات الأولى — يعود جذر الشجرة الفارعة شجرة الفلسفة الحرة التى تظلل فروعها اليوم أكثر بقاع العالم وسواء أكانت هذه الأغصان لموسعة غليظة مؤذية أم لدوحة مورقة نباتة فان ما يدعى أن ينتهى إليه هو قلة احتمال البشر قديماً تطبيق شيء مما وصلت إليه الفلسفة البعيدة عن روح الأديان تطبيقاً عاما شاملا مثلما نجد اليوم — كأثر حقيق لوقوف الاسلام فى حدود أوطانه — أن بعض الآثار الفلسفية قد وجدت من الأشياع من يخلصون لها ويجاهدون لتحقيقها ويؤسسون لها الحكومات القوية وينادون بوجوب سيادتها فى أنحاء العالمين ... تلك المبادىء — وأكثرها جنت وأودية أوربا القفرة إلا من أشواك الوثنية المسيحية — لها شأن عجيب ذلك انها ظهرت فى بيئات أشد ما تكون حاجة إلى الحرية والانطلاق وأبعد ما تكون تأثراً بما عدا ذلك

فهى تسعى وراء ما تشعر بأن فيه طمأنينتها وسعادتها وقلما يعنيها بعدئذ أن يوصف ما تظفر به بأنه حق أو باطل منكر أو مألوف إيمان أو إلحاد وليس من شك فى أن النضال الدموى للروح التى سودت وجه أوربا عصوراً له أثر بعيد فى هذه الحالة

وفى هوجاء هذه الفتن الطبيعية وفى مهب أعاصيرها التى لا تكاد إلى اليوم تهدأ لها ثائرة او تؤمن لها غائلة قامت الماسونية والشيوعية والاشتراكية والديموقراطية ... وغير ذلك، ومن ثم نادى أقوام ممن ذاقوا مرارة الخصام بين المذاهب المختلفة بوجوب الاخاء بين جميع المذاهب . أو لو كان إخاء بين الحق والباطل ؟ هذا شيء لا يفكر فيه الماسون وصاح أقوام ممن عضتهم البأساء والضراء بوجوب تقسيم كل شيء على الأمة أو لو كان فى ذلك الفوضى والاباحية ؟ هذا شيء يستسيغه الشيوعيون وكذلك أسس الفاشيون نظام النقابات أو دولة العمال ووضع الدعقراطيون قواعد الحريات العامة للناس ـ كما يقولون ـ ولكن هل هناك غاية يخدع بريقها للسلم وثباتا هذا الغموض والابهام كلا إنما هو تبريح عالمى تمحص عنه صحاح العقل الانسانى أثناء شروده وجموده ولا ريب أن توفير حاجات الجسد مما تنادى به الضرورة وتكثير أسباب النعم مما تتطلع إليه الرهبة ثم اشباع مطامع بعض النفوس الجائعة بحب الزعم ثم ذلك التعاون فى أى أشكاله بين شتى العناصر لنيل خير حياة دنيوية ممكنة — لا ريب أن كل هذا هو اباب المذاهب التكبرة السائدة هناك والتى تحاول أن تغزو ميادين الشرق المريض بل إنها وجدت فعلا طريقها إلى بعض النفوس المنحلة فى هذه الديار ولا عجب أن تلق بعض النجاح المؤقت إذا كانت قد دعمتها الدراسات الجردة الفلسفة النفسية والخلقية هذه الفلسفة التى إدعاها علما تحرروا من قيود الأديان هرطها وحطيرها واستقامت آراءهم على أسس من تفكيرهم الخاص و « عقولهم الباطنة » أو الباطلة

وسنناقش الآن فى إيجاز أهم المسائل التى قررت فى علم النفس كمنهج للسلوك البشرى الفاضل ثم نعقب على أثر ذلك بتحليل كامل المقاييس الخلقية الموضوعة

ـ إذ أن مر الحياة التي تسود اليوم كثيرا من الطبقات الدنية في كل شيء إنما يرتد إلى هذه المناهج المصنوعة ـ وسوف تقر أعين المؤمنين إلى أن الاسلام وحده منهج الحق الواضح وأنه بحسب المسلم الاعتصام بدينه ليستوى على صراط تندق دونه أعناق الشياطين « صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور » ..

يرى علماء النفس أنه لكي يستقيم سلوك الانسان على نهج واضح ينبغي أن تستكمل عواطفه ثم تدور كلها في فلك محوره « احترام الذات » تخضع فيه استعداداته الموروثة والمكتسبة إلى كل ما يسمو بكرامته كانسان كامل . وعبارة الانسانية الكاملة وضعها أناس ينظرون للحياة خلال عدسة سفسطائية تسخر من الحقائق . وما دمنا قد وصلنا إلى اعتبار الرأي الشخصي وتقريره أساساً حراً لاكتساب الانسانية الكاملة فقد نسينا الحق وفقدنا معه الخير المنشود فإن من الناس من يقوم ذاته على أساس إعطائها مبدأ ديكتاتوريا ومنهم من يقومها على أساس اعتناقها مبدأ ديمقراطيا وكلا الرجلين قد حشد استعداداته الموروثة والمكتسبة لخدمة مذهبه وركزها عند غاية واحدة وارتضى أن يموت دونها فهل معنى هذا أن كليهما ظافر بالكمال الانساني المزعوم مع ما في نظريتهما إلى الدنيا من تناقض يؤكد بينهما الخصام بل ينشب بينهما القتال ..

على أن لنا نحن المسلمين ما نلاحظه على هذه الفلسفة النفسية التي تريد أن تخلق من أنانية الفرد مذهباً عاماً فإن المسلم الذي عرف ذاته في ذات الله ووزن نفسه بمقاييس من دينه يجب أن ينمي عواطفه كلها ثم يسيرها في نظام يبتدىء وينتهي عند تمجيد الله أماما يقرره لنفسه هو من احترام وتزكية فهو فضل الله يضفيه على من شاء . والمسلم الذي يستشعر في قرارة نفسه كل معاني العبودية لمولاه العلي لا يأخذ أحدا هذه النفس أن ينسب إليها مجداً أو يشار إليها بأي ضرب من ضروب الكبر المفتعل ونحن نحارب بهذا أناساً مصنفين فيهم الكافر وفيهم المؤمن المدخول العقيدة . أولئك قوم زعموا أن السمو بالنفس الانسانية مستطاع في غير جوار الله

مستطاع في ظلال هذه العواطف الكاذبة فذهبوا يتلمسون الكمال المنشود في مبادىء يتوارث الناس احترامها وإكبار أصحابها حتى إذا اصطبغت نفوسهم بها وبما وراءه من فضل وعبد راحوا يقررون لها حقوقا من التوقير والاعظام وكان لزاماً على الناس أن يتقدموا إليهم بها . ثم يستقر هذا الضلال المبين فاذا المفترون أبعد ما يكونون عن الله . وإذا هم على ما بهم من ثقة واعتداد لا يقيم لهم الدين أي وزن ولا يبرز لهم أبدا إلا في أمكنتهم من الرغام

لهؤلاء وأضرابهم قوم من السلطان المادي والمعنوي في هذه البلاد وهم كأقرانهم من الصابئة الغربية يمثلوا الحرب على الأديان ورسالاتها الكريمة في الحياة وإذا كان ضجيج القوم تتعالى هنا وهناك وترددت أصواتهم في أنحاء كثيرة فانسدوا هذه الصيحات في قبضتها نقيق الضفادع وربما أطفأت أنفاسهم اللاهثة شموع الكنائس ـ ولكنهم ولوا منها ولو لعوا صفحة لن يطفئوا الاسلام مشعلا (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) ولا عجب فالأمور التي توضح التماما في بنيان المسيحية المتداعي لا يمكن مطلقا أن تمس بها دعائم الاسلام المكينة وإذا كان صابئة الغرب قد قالوا ما قالوا فردد المقلدون الحق هنا ما قالوا من نظريات انفصال الدين عن السياسة وعن العلم وحرية آخى الأديان أو الدين لله والوطن للجميع فان مصير الفريقين سيختلف حتما وهزيمة المسيحية هناك هي هزيمة الصابئة هنا تماماً ... ولقد أدرك المسلمون حقيقة دينهم غير منقوصة وعلموا أن دينهم كما أنه هو دين النفس هو دين الدولة بل ان الاسلام لم يتجه للفرد من حيث أنه « شخصية مستقلة منعزلة » وإنما اتجه إليه من حيث انه « وحدة من مجموعة مؤتلفة متماسكة » وإلى هذا يرجع السر في أن الخطاب الالهي يرد دائما بطريق الجمع لا الافراد « يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون . وجاهدوا في الله حق جهاده » ثم كيف يكون بين الاسلام وبين العلم عداء والعلم نفسه لم يصل إلى النهضة التي بلغها من التقدم إلا في جو إسلامي خالص ، إن العلم الطبيعي يعتمد على عنصرين خطيرين في جميع بحوثه

وكشوفه عبا الملاحظة والاستنتاج وليس يوجد فى الدنيا كتاب أوصى بالتدبر فى ملكوت الله الرحيب واستطلاع بدائعه واستكناه روائعه كما أوصى القرآن « وفى الأرض آيات للموقنين . وفى أنفسكم أفلا تبصرون » ومعها أظهر المغرضون من عطف ما كر على استقلال العلم فانهم لن ينالوا من الاسلام أى نيل . كذلك ضل من يزعم أن الوطن ليس لله فأى غباوة هذه تحاول أن تنسب الشيء لغير صاحبه بل لغير خالقه « إنّ الأرضَ لله يورثها من يشاء من عباده » « ولله المشرق والمغرب » ولقد مهد هؤلاء لهذا الحلة الناشئ بكلمة لم يفهموها . الدين لله حقاً ولكن ماذا بقى لله على زعمهم إذا كان للأوطان أول ما فى الفؤاد وآخر ما فى الفم !! ماذا بقى لخالق الفؤاد وما يجول فيه ولخالق اللسان وما ينطق به كلا . الدين لله والوطن لله . ومصروص عليها فدى للاسلام وحده و« الذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم » إن التمى التى يبوء بأشد معانى الاحتقار والذى نجمله عند عقلوتنا الدائمة هو هذا الضلال الوقح الذى يحاول فى غيرما حياء أن ينتظم الاسلام — وهو دين الله الكريم — والمسيحية واليهودية فى سلك واحد هكذا ، كيف يرتضم مبدأ من المبادىء ليضم إلى أحضانه هذه الأديان المختلفة المتناحية (كذا) ويجمعها فى صعيد واحد ... حدث مرة أن كنت أتصفح إحدى المجلات الأسبوعية فعثرت على تصريح سكرتير الماسون الأعظم — وهو رجل مسلم كما يشير إلى ذلك اسمه — قال « إن قراراتهم التى تذاع لا يراد بها إلا خير المجتمع من الناحيتين الانسانية والاجتماعية دون تعرض للسياسة ولا للدين » ونحن نتساءل كيف يجوز لمسلم أن يلقى كلاماً أو يصدر أعمالا بعيداً عن دينه وعن رعاية قيوده وحدوده كلها إلا أن يكون مسلماً يجهل الاسلام أو منافقاً يبرأ منه دين الله !! . ونحن نتساءل كذلك أى إخاء عجيب أوى إلى سلامة ووئامه أعضاء المحفل الماسونى المكرمين وفيهم أحد موظفى الأزهر وأحد أعيان اليهود ، انه إخاء فرض نفسه على حساب نكبة أحدهما فى عقيدته أو على الأصح على حساب تنازل المسلم عن دينه جملة

هنالك ما لا يقل خطرا من الماسونية العالمية مسخاً للإيمان وتذويباً للنفس المؤمنة وهبوطاً بمستواها الذي ينبغي أن تحتفظ به ومن أمثلة ذلك جميع المبادىء التي تحمل لقباً عالمياً . فالرياضة العالمية والثقافة العالمية والديمقراطية العالمية والأدب العالمي والفن العالمي والتمثيل العالمي .. الخ مما يسير في ظلال معنى الاخاء الانساني ووحدة البشرية والـكلمات التي أجاد الاوروبيون صناعتها وحسبها عشرقو الاستعمار بيننا لينالوا بها مالا تناله منا شر الاسلحة وليتوسلوا بهـا إلى إفناء العصبيات الاسلامية وتحطيم قضاياها وتمزيق مقوماتها

(يتبع) محمد الغزالي

براءة من القاديانية

كتبنا في الاعداد السابقة في فتاوى المنار عما وصل الى علمنا من طالبين ألبانيين أحمـديين ينتسبان الى القسم العام بالازهر وقلنا ان من واجب المشيخة أن تتحرى أمرهما وأن تبادر بفصلهما حتى لا تسري منهما عدوى الفكرة الخاطئة الى غيرهما من الطلاب ويسرنا الآن أن نقول ان زميلتنا الفتح الغراء قد نشرت براءة لهـذين الطالبين من المذهب القادياني صرحا فيهـا بتوبتهما توبة نصوحاً ورجوعهما الى عقيدة الاسلام الصحيحة وبراءتهما كل البراءة من المـذهب الاحمدي بقسميه اللاهوري والقادياني معا . ولقد كان لاخينا الداعية المسلم الموفق محمد افندي توفيق أحمد في اقناعها أثر صالح فجزاه الله خيرا .

وسننشر نص هذه البراءة في العدد القادم ان شاء الله

الشيخ محمد عبده*

— ٢ —

عهــــد الطفولة

فى عام ١٢٦٦ الهجرى الموافق ١٨٤٩ الميلادى ، نزل إلى الوجود مولود جديد ، ارتفعت صيحاته وصرخاته معلنة قدومه إلى عالم الدنيا ومبشرة باندراجه فى صفوف الناس ...!!

ونفذت هذه الصيحات إلى مسامع الناس من أهــــل القرية ، فتناقلوا الخبر ، وجاء الريفيون من هنا وهناك يهنئون الشيخ الوقور « عبده بن حسن خير الله » بهذا المولود الجديد الذى أنار هذه القرية الصغيرة من قرى مديرية الغربية كما يقولون . ويتمنون له من كل قلوبهم السعادة والهناءة ، فهم يحبون هذا الوالد الكريم، الذى لا يعرف كرمه البخـل ، ولا يشوبه الحرص والشح . . وكم كان تفاؤلهم عظيما

* اعتمدنا فى هذه الترجمة على مجموعات المنار، والضياء لليازوجى ، ومشاهير الشرق ، ومصنفات الشيخ محمد عبده ، وجمال الدين الأفغانى ، وكتاب الاسلام والتجديد فى مصر . وغير ذلك مجلات وصحف كثيرة منها العروة الوثقى والهلال والاهرام .

عندما علموا أن اسمه «محمد»، فهذا هو الاسم الحبيب لدى كل مسلم والعزيز عند كل مؤمن، فخير الأسماء ما عبد وحمد

وامتلأت نفس الشيخ غبطة وهناءة وسرور، وراح يدعو الله أن ينظر إليه ويوفق وليده إلى خير السبل وأقوم الطرق، وأن يجعل هذا الرضيع سيفا من سيوفه المصلتة، ووليا من أوليائه المقربين، ناصراً للحق وأهله مخاذلا للباطل وأعوانه.

وذكر حينذاك كيف خرج هاربا من قريته فراراً من ظلم الحكام الاتراك واستبدادهم في مديرية البحيرة. وأخيرا حكم محمد على باشا الكبير فملت وجهه كرومنا وكهرار، وأب رقصه؛ إذ أنه تركى الاصل نزلت أسرته بأرض البحيرة واستوطنتها حتى انطبعت بطابع الفلاحين المصريين. وأصبحت وكأنها منهم الجزء الذى لا يتجزأ. والصنو الذى لا يختلف عن صنوه، فكيف إذن يناله الظلم ممن يمت اليهم بصلة، ويرتبط بهم بوشيجة؟ هذا لعمر الله غريب وعجيب ..!

ولكنه سرعان ما استبشر وانفرجت أسارير وجهه، إذ تذكر حرصه الشديد على أن يكون له نسل قوى سليم، وذرية صالحة تحمل اسمه مع الزمان، وولد يخلد اسمه في سجل الخالدين. ويكون له نعم الخلف ونعم الذكرى، فتى لو اتصل حبله بفتاة لها من المزايا الجليلة، والصفات الحميدة ما يكون خليقا أن ينحدر إلى ذلك المولود الجديد الذى ينحدر من أصلابه ..

عبد الحفيظ أبو السعود   (يتبع)

انتقاد المنار

حول ما نشر فى آيات الصفات وأحاديثها أيضا

جاءنا هذا الخطاب بتوقيع صاحبه ونحن نتسامح بنشره ايثاراً لتجلية الموضوع تجلية تامة بحول الله وقوته مع ردنا عليه :

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الفضيلة الشيخ حسن البنا رئيس تحرير مجلة المنار

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فقد اطلعنا على ما نشر فى العدد الأخير من المنار تحت عنوان نقد المنار رداً على رسالة أحد القراء الكرام وشجعنا ذلك على الكتابة اليكم فى شىء من الصراحة ·

لما اطلعت على عدد المنار الذى بدأتم باصداره وبادرنا إلى تصفحه حالك فى نفسى ما جاء فى رسالة القارىء اليكم وفهمت من كلامكم فيما بين المجلتين (الهدى والاسلام) من الخلاف نفس ما فهمه الناقد ولعل أصحاب الهم أنا أيضا ، إلا أنكم فى ذلك المقال لم تقولوا بخطأ المجلتين ولم تشيروا إلا إلى اخلاصهما وجهادهما وكان من العجب فيما رأينا ما ذكرتم فى العدد الأخير من خطأ المجلتين فيما ذهبنا اليه

وبالرجوع الى أقوال المجلتين ومقالات كتابهما ظننا أن حكمك بخطأ المجلتين يكاد يكون حكما على طائفتين غيرهما فقد أجهدنا أنفسنا فى مطالعة المجلتين فلم نعثر على عقيدة تفسير الاستواء بالاستقرار كما لم يجزم الفريق الآخر بتأويل الاستواء إلى الاستيلاء وحده .

فلعلكم تأثرتم فى حكمكم هذا بما يقال ويشاع فقط . وهذا ما نرجو أن يكون المنار بعيدا عنه .

ولذلك نرى إحقاقا للحق ووضعا للأمور فى نصابها أن ترجعوا إلى كلام

المجلتين وتحكموا عليهما بما تقولان لا بما يقول بعضهم على بعض ولا بما يشاع عنهما بين العامة والدهماء .

وملاحظة أخرى في العدد الأخير نحب أن تبينوا لنا حقيقتها وهي ما نسبتموه لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه في باب التفسير ، ذلك الكلام العجيب الذي لا يشبه في أسلوبه ولا يضاهيه ما تواتر إلينا من كلامه رضي الله تعالى عنه ففي أي ديوان من دواوين السنة المعتبرة عند المسلمين وجدتم هذا الخبر ؟ أفيدونا رحمكم الله ، وإن لم يوجد في شيء منها ؛ فهل ترون أن أمثال هذه (الحواديت) التي ملئت بها بعض الكتب المجهولة الأصل مثل نهج البلاغة وغيره تصلح للاحتجاج ولتقرير عقيدة إسلامية .

وإني وإن كانت بيني وبين فضيلتكم معرفة ، إلا أني أحب أن أكون إلى حين مستترا والسلام عليكم ورحمة الله

أحد قراء المنار

ملاحظة : فاتني أن أذكر لفضيلتكم أن خصوم الهدي النبوي اليوم هم بذواتهم وأقلامهم خصوم المنار وصاحبه عليه رحمة الله

« الجواب »

هذا الخطاب يتناول أموراً أربعة

أولها — أننا في المقال الأول لم نقل خطأ المجلتين الخ . ونحن نعتقد أن هذا المعنى إن لم يصدر في كلامنا تصريحاً ، فقد كان واضحا كل الوضوح ونحن نؤثر دائماً أدب القول والكتابة وعفة اللسان والقلم في عصر أغفل الكاتبون فيه هذا المعنى ، وعلى كل حال فكلامنا في المقال الثاني قد أوضح ما أبهمه المقال الأول إن كان ثمة إبهام فلا نطيل القول في أمر قد وضح والحمد لله

وثانيها — أن ما نسبناه الى المجلتين يكاد يكون حكما على طائفتين غيرهما الخ ونحن نقول انما كتبناه هو ما فهمناه من مجموع ما كتب الكاتبون فيهما فاذا لم يكن كذلك فليتكرم حضرة الكاتب علينا وعلى القراء الكرام ببيان ما فهم هو من كلام كل منهما وبيان وجه الخلاف بينهما وليؤيد ذلك بنصوص الكاتبين مستوفاة وليحكم بينهما إن شاء ذلك ونحن على استعداد لنشر ما يكتب والرد عليه ان كان فيه ما يستحق الرد وموافقته إن كان مما نرى أنه الحق على أن يكون هذا آخر ما نكتب في هذا الباب. نقول هذا ونستحسن لأنفسنا ولحضرة الكاتب والقراء كذلك أن نغلق هذا الباب من الآن وخصوصا بعد أن انصرف الجانبان الى ما هو أجدى وأنفع ، وفيما كتبناه في بيان ما يجب أن يكون عليه المسلمون في هذا المعنى كفاية

وثالثها — استنكار ما نسبناه لأمير المؤمنين علي كرم الله وجهه في باب التفسير والتهكم عليه بهذا الأسلوب اللاذع ـ فغفر الله للكاتب سورة غضبه وعفا عنا وعنه ونحب له أن يروض قلمه دائما على غير هذا الاسلوب فهو أعف وأبر ولو أنصف حضرته لالتفت إلى أننا إنما سقنا هذا الكلام للبيان والاستئناس لا للاحتجاج والاستدلال وهذه واحدة، ونسبناه الى نهج البلاغة ولم ننسبه الى الامام كرم الله وجهه وهذه الثانية ، وعلقنا في حاشية المقال بما يتضمنه أن نسبة هذا الكتاب موضع خلاف بين الأدباء وهذه الثالثة ، لو أن حضرته التفت الى هذه النواحي الثلاث لأعفى نفسه وأعفانا من هذا التعليق القاسي الذي لا مبرر له

رابعها — يذكر الكاتب أن خصوم اليوم هم بقولهم وأقلامهم خصوم المنار وصاحبه عليه رحمة الله ـ ياسبحان الله إن الزمن يا أخي يدور والمدارك تتطور بدورانه وإن تجارب الناس ودرجة معرفتهم بالأمور تزداد وتتقدم يوما عن يوم ، وأن القلوب بيد الله يصرفها كيف شاء ، وإن كثيرا ممن حمل السيف

أمام رسول الله ﷺ ودعوته كانوا بعد ذلك من أشد الناس حماسة في مناصرتها وتفانيا في محبته ﷺ ، وسبحان من أمر الاسلام بقاتل حمزة وجعله قاتل مسيلمة ، وأين أنت من خالد وعكرمة ولا تحملني أقول إننا كثر من هذا في مكان القول متسع ولكن ما كل ما يعرف يقال . وجميع الناس متفقون على أن الحق لا يعرف بالرجال فهيهم لا زالوا في خصومتهم أفلا نتبع الحق إذا جاء على أيديهم ونكون أول من يناصرهم فيه

انى لأعتقد أن ما يمر بنا من هذه الحوادث الجسام سيوحد الكلمة وسيجمع الرأى ويقرب شقة الخلاف ، ويسوى صفوف العاملين للاسلام ان شاء الله فاصبر إن وعد الله حق والسلام عليك ورحمة الله وبركاته حسن البنا

السيد الكامل آل رضا

رحمه الله

نعى لنا ناعيه السيد الكامل آل رضا رحمه الله وهو عم السيد محمد رشيد رضا منشىء المنار ووالد صديقنا المفضال السيد عبد الرحمن عاصم رضا نفع الله به . عمّر عمراً مباركاً قضاه في طاعة الله والمبادرة الى الخيرات وكان السيد رشيد رحمه الله يقول عنه إنه حجة الله على أهل هذا العصر إذ كان — أفسح الله له في جنته — رغم كبر سنه وضعف بدنه حريصاً كل الحرص على المبادرة بالأعمال الصالحة بعيداً كل البعد عن كل ما يؤدى إلى الشبهة فضلا عن الحرام لا ترى في مجلسه الا ذكر الله وما والاه والتذكير بالخير والنصح لعباد الله وقد ورث عنه هذه الخصال نجله الفضال السيد عبد الرحمن حفظه الله فما علمنا عليه إلا خيراً ولا نزكى على الله أحداً

وانا لنتقدم بالتعزية إلى آل رضا ألهمهم الله الصبر وأجزل لهم الأجر وعوضهم الخير ونسأل الله للسيد الراحل المغفرة والرضوان

وقد حال احتجاب المنار عن أن يصدر هذا الجزء في حينه ولعل صديقنا السيد عبد الرحمن عاصم يوافي قراء المنار بترجمة مفصلة لحياة السيد الوالد عليه الرحمة لتكون لنا وللقراء عظة وذكرى والذكرى تنفع المؤمنين

المنـــار

منذ عشرين سنة

ربيع الآخر سنة ١٣٣٩

دعوة عرب الجزيرة الى الوحدة والاتفاق

بقلم السيد محمد رشيد رضا رحمه الله

« واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها . كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون . ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون . ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم »

ثبت فى القرآن المجيد ثم فى التواريخ التى دونها علماء العرب وغيرهم من الأمم قديما وحديثا ومن العاديات (الآثار القديمة) التى اكتشفت فى أقطار مختلفة أن العرب من أقدم أمم الارض حضارة وعمرانا ورسلا وشرائع حتى انهم استعمروا أقدم البلاد مدنية كمصر

وسورية والعراق ، فلهم فى حضارة الفراعنة والفينيقيين والكلدانيين العرق الراسخ ، والمجد الشامخ ، فلن لم تكن تلك الامم فروعا منهم فلها وشائج أرحام متشابكة بهم ، من قبل أن مزجها الاسلام بهم فى الدين واللغة والنسب بألوف السنين .

فمن ذلك ما حكاه فى القرآن المجيد عن قوم عاد « إرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد » كقول نبيهم هود فى مبانيهم وقوتهم « أتبنون بكل ريع آية تعبثون * وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون * وإذا بطشتم بطشتم جبارين » وقوله فى نسلهم وزرعهم وضرعهم : « أمدكم بأنعام وبنين * وجنات وعيون » وبيانه لهم أن هذه النعم يزيدها الرجوع إلى الله بالايمان وترك المعاصى نماء وقوة « ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم » وما حكاه عن ثمود وقول رسولهم صالح لهم فى تذكيره بنعم الله عليهم « هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه » وقوله « أتتركون فيما ههنا آمنين . فى جنات وعيون . وزروع ونخل طلعها هضيم . وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين » وما قصه علينا عن سبأ فى سورتها كجنتيهم عن اليمين والشمال ، واتصالها بالقرى المباركة فى أرض الشام ، ونظام السير المقدر بالاوقات وحفظ الامن فيها بالعدل والنظام ، وذلك قوله تعالى « وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالى

وأياما امنين ، وناهيكم بقصة ملكتهم مع نبي الله سليمان ، وكونها أوتيت من كل شيء يؤتاه الملوك في ذلك الزمان ، مع القوة والحكم بالشورى دون الاستبداد

ومن ذلك ما أثبته الذين اكتشفوا آثار الكلدانيين في العراق وشريعة ملكهم حورابي من كون شريعتهم عربية ودولتهم عربية وهذا الملك كان يسمى ملك البر والسلام ، وفي سفر التكوين من أسفار التوراة أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أعطاه العشور إذ كان من رعيته وأنه بارك ابراهيم فدل هذا على أن ابراهيم صلى الله عليه وعلى آله كان عربيا أيضا

ومن ذلك ما اكتشفه أحمد بك كمال العالم الأثري المصري من متزاج اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية) باللغة العربية الدال على أحد أمرين اما أن العرب وقدماء المصريين من عرق واحد ، واما أن العرب قد استعمروا مصر وحكموا فيها قبل دولة الرعاة العربية المعروف خبرها في تاريخ مصر فكان لغتهم الأثر الخالد في لغتها

هذا الماع تاريخي وجيز لمدنيـــــة العرب وقوتهم وعمرانهم في التاريخ القديم منذ ألوف السنين وأن في لغتهم الغنية الراقية الواسعة دلائل أخرى على ذلك متعددة المناهج واضحة المسالك

قد ضعفت الامة العربية بعد تلك القوة ، وبادت بعدتلك الحضارة وخرب معظم بلادها بعد ذلك العمران ، وغلبت عليها الأمية ، وكادت

تعمها الجاهلية الوثنية (فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد . وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) ومر على هذا الضعف قرون وتعاقبت عليه أجيال ، حتى ظن الظانون أن هذه الامة هرمت وقاربت الزوال فلا تقوم لها قائمة ولا يتجدد لها شباب .

ثم جاء الاسلام فجمع شملها بعد فرقة وشتات ، وألف بين قلوب قبائلها وأفرادها بعد عداوة تأرثت بها الاضغان وتحكمت فيهم الثارات وأخرجها من ظلمات الجاهلية والامية ، الى نور العلم والحكمة والنظام والمدنية ، وجعل لها المكانة الاولى بين أمم الارض في السيادة والرياسة والكلمة العليا في الحكم والسياسة ، فورثت ملك القياصرة والاكاسرة في الشرق ، وامتد سلطانها في القرن الاول من حدود الهند الى المحيط الغربي وهو آخر ما كان يعرف من اليابسة في الغرب ، وأحييت في هذه الممالك الواسعة العلوم والفنون ورقت الصناعة والزراعة ، وسلكت السبل الجديدة للتجارة ، فسادت شريعتها جميع الشرائع ، وعلت لغتها جميع اللغات ، وفاقت آدابها جميع الآداب

ولكن حظ جزيرتها من هذا العمران كان قليلا ، ثم دب اليها الخراب وعاد أكثر أهلها الى البداوة والامية والجاهلية أو ما يقرب منها . بل صاروا دون الجاهلية في بعض الصفات والمزايا حتى اللغة فان لبدو الجزيرة وحضرها في هذا العصر ما يقرب من تلك الملكة العليا

في الفصاحة والبلاغة التي جعلت لكتاب الله المعجز تلك المكانة من عقولهم وقلوبهم ، حتى إن كان أحدهم ليسمع السورة أو الآية منه فيخر ساجداً ، وتتحول عقائده وأخلاقه وعاداته بهدايته الى ضدها

عاد أهل الجزيرة الى جاهلية يضرب بعضهم رقاب بعض بعد أن ألف الاسلام بينهم فكانوا بنعمة الله اخواناً ، ويرزق توبهم بسلب ضعيفهم بعد كانوا يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، وفرقوا دينهم فصاروا شيعاً تكفر كل شيعة منهم الاخرى أو تفسقها بعد تلك الوحدة العظيمة ، جاهلين أو غافلين عن قول ربهم لرسوله ﷺ « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء » وما في معناه من الآيات والاحاديث .

إن هداية القرآن هي التي جمعت كلمة العرب على ما كان من تفرقهم وتعاديهم في الجاهلية ، وهي التي جعلتهم أئمة الامم في العلم والحكم والآداب والعدل في أثر اخراجهم من تلك الامية ، وما أصابهم ما أصابهم بعد ذلك من التفرق والتعادي والجهل والفقر إلا بتركها ، ولن تعود اليهم تلك النعم الا بعودهم اليها (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) ولكن وحي شياطين التفريق ، قد زين بزخرف القول لكل فريق ، ان كل شيعة تجمعها رابطة مذهب فانما الواجب عليها أن تعمل بقول علمائه وحكامه ، ولا يجوز لها أن تهتدي بكتاب الله وسنة رسوله ، ولئن اختلفوا في الرأي ، وتنازعوا في الامر خلافاً لقوله عز وجل

« فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول » وشبهتها على هذه الطائفة الى الاهتداء بكتاب الله المنزل فتح لباب الاجتهاد المقفل، فاختصموا فى أصل الاهتداء بالكتاب ، الذى أنزله الله تعالى لازالة الاختلاف

من غص داوى بشرب الماء غصته   فكيف يعمل من قد غص بالماء

ان الله تعالى أرسل رسله لهداية خلقه ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه . وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم » فكيف يؤخذ بقول العلماء والامراء الذين يبغى بعضهم على بعض فيما تنازعوا واختلفوا فيه من الامر ؛ اذا لم يرجعوا الى الاصل الجامع، ويحكموه فى الخلاف الواقع وهو يقول « فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » ثم بين ذلك تعليلا بقوله « ذلك خير وأحسن تأويلا » أى أحسن عاقبة ومآلا من كل ما عداه، فكيف لا يكون خيرا من اتباع أهوائهم فى تحكيم آرائهم والرد الى أقوال زعمائهم وعلمائهم ، على أن هذا الرد الى كتاب الله وسنة رسوله وذلك الاهتداء بهما ، لا يستلزمان الاجتهاد الاصولى المطلق الذى أقفلوا بابه ؛ فقد كان عوام السلف الصالح مهتدين بهما ولم يكن كل واحد منهم اماما مجتهدا فى استنباط جميع الاحكام ، كالائمة المشهورين وعلماء الاعلام

ثم إن الشيخ محمد عبد الوهاب قد جدد دعوة الدين فى بقاع نجد فرجع الالوف بها عما كانوا عليه من الجاهلية والشرك وكادت تنتشر

دعوته في جميع جزيرة العرب التي يتعذر اصلاحها وجمع كلمتها بغير الدين ، ولو تم ذلك لتجدد أمر الاسلام في جميع أقطار المسلمين ، ولكن حال دون ذلك فتنتان (أولاهما) مقاومة السياسة لها والاخرى غلو الكثير من القائمين بها ، فالاولى اذاعة الساسة في العالم كله ان هذه دعوة ابتداع في الدين ، والثانية أيدوا هذه الاذاعة بما اشتهر عنهم من الغلو ولا سيما تكفير من عداهم من المسلمين ولهذه التهمة أصل وقد بينا الحقيقة في هذه المسألة من قبل وغرضنا من الالمام بذكرها الان بيان استعداد العرب للصلاح والاصلاح بدعوة الايمان اذا قام بها من يدعو اليها بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن كما أمر القرآن وتذكير الغلاة من المتدينة بأن لا يغلوا في دينهم ولا يقولوا على الله الا الحق ولا يحرموا ما لم يحرم الله ورسوله بالنص أو اقتضاء النص وأن يعذروا كل مخالف لهداية الدين بالتأول أو الجهل ، وأن يعتمدوا في بث الدعوة على نشر العلم والعمل به على قاعدة « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » وأن لا يكفروا أحداً من أهل القبلة بذنب وأن يفرقوا بين الجهل بشيء مما يجب الايمان به عن جهل وان عده بعض الفقهاء كفراً وردة ، وكفر العناد وتكذيب الرسول الذي كان عليه مشركو الجاهلية في زمن البعثة . فاذا علموا هذا وعملوا به لا تلبث الدعوة أن تعم الجزيرة وغيرها ويسقط كل من يعارضها حرصاً على الزعامة وحب الرياسة .

ممذا وأن ما أصاب الجزيرة من الشقاق والشقاء سببا أصيلا وراء الخلاف الدينى المبنى ، وهو حب الرياسة وعلو بعض الزعماء على بعض وسببين عارضين وهما الجهل والفقر ، وازالة السببين العارضين من الامور الكسبية القريبة المنال ، وانما الشقاء كل الشقاء فى الشقاق الناشىء عن حب الرياسة والعلو وخطره المنذر بالهلاك والزوال

ان فى بلاد العرب من ينابيع الثروة ما يكفى لجعل أهلها من أغنى شعوب الارض كمعادن الذهب والحديد والحجارة الكريمة والاملاح والزيوت المعدنية وغير ذلك ، وفى كثير من ارضها قابلية لخصب الزراعة يعز نظيره فى غيرها وناهيك بقهوة اليمن ونخيل المدينة وفاكهة الطائف ، وأهلها أزكى الشعوب وأقواها استعدادا للتجارة حتى أن عوام الحضارمة قد زاحموا بها أرقى شعوب هذا العصر علما وتجربة فى بلاد الهند وجاوة ومصر ، فبقليل من العلم والنظام تدخل جزيرة العرب فى حياة جديدة من الثروة والعمران وتحفظ نفسها من الخطر المحدق بها الان ، ولكن ذلك يتوقف على ازالة الصداء الذى طرأ على أئمتها فى هذا الزمان

إذا زال الشقاق وأديل منه الاتفاق بين أئمة اليمن والحجاز ونجد زال فى أثره ما منيت به البلاد من الجهل والفقر ، وما يتهددها من فقد الاستقلال والذل، وإذا حل بالجزيرة ماجعله الله تعالى بسنته فى البشر تابعا لازما لاهل التنازع والفشل ، يفل الاسلام وزوال سلطانه من

رؤوس سائر الامم وتكون تبعة ذلك على أمراء الجزيرة وأعتها وما يظن بأحدهم أنه يحسب أن بلاده بأمن من سيطرة الاجانب بقوتها أو بحرها ووعورتها إذا لم يبق (فيما أظن) منهم من يجهل أن الاجانب قد استولوا على ما هو مثلها أو أشد منها قوة، والذع حراً وأصعب وعورة على أنه ليس مثلها في كونه جزيرة أوشبه جزيرة فهذه البلاد يمكن للدول البحرية حصرها من البحر ومنع السلاح عنها وقطع موارد الرزق. ولا سيما اذا ثبتت سيطرتها على بلاد سوريا والعراق التي يسهل حصرها أيضاً اذا هي نجت من تلك السيطرة وليتذكروا جميعاً ما أوصى به النبي (ص) في مرض موته بشأن جزيرتهم وحكمة ما أشار اليه من أن الاسلام سيأرز اليها كما تأرز الحية الى جحرها وتطبيق ذلك على ما صار اليه أمر المسلمين الآن.

ان بقاء عز الاسلام يتوقف على استقلال العرب وإصلاح شئونهم كما ثبت عندنا بالنظر الصحيح المؤيد لحديث جابر عند أبي يعلى بسند صحيح وهو قوله عليه الصلاة والسلام «وإذا ذلت العرب ذل الاسلام» ولا عز بغير استقلال ولا استقلال الا بالقوة والمال ولا قوة ولا ثروة مع الشقاق والفرقة. وإنما القوة كل القوة بالاعتصام والوحدة فاذا اتحد أمراء الجزيرة وأعتها حفظوا استقلالهم وأمكنهم نشر العلم وتفجير ينابيع الثروة في بلادهم بمساعدة أهل البصيرة والقادرين على تنظيم الادارة والقوة وتدبير الثروة من أمتهم وتسابقت الشعوب الفنية

القوية الى موادتهم أو مصانعتهم للاستفادة من قوتهم وثروتهم بل هي على وشك الاحتياج اليهم منذ الآن . لما بين غربي أوربا وشرقيها من المقارعة والصدام . الذي يتوقف على نتيجته ما يكون عليه الشرق من حكم ونظام ولا سيما شعوب الاسلام من العرب والترك والفرس والتتر والافغان .

« ✻ »

هذا ما أحكيه لهم عن رأي أهل البصيرة والدين من عقلاء العرب وعلماء المسلمين الذين يتنفسون الصعداء حزنا ويحرقون الارم غيظاً وأسفاً كلما صخ اسماعهم نبأ تقاتل أئمة الجزيرة للتنازع على بعض الجبال والاودية (١) مع خراب البلاد وفقر العباد اللذين يزيلهما الاتفاق والاتحاد ويزيدهما الافتراق والجلاد وانني باسم عصبة المخلصين من عقلاء العرب وغيرهم من المسلمين أدعوهم الى عقد الاتفاق والحلف بينهم على الاصول الاتية :

(١) ابطال الحرب والغزو بين عرب الجزيرة بعضهم مع بعض وحل مشكلات الخلاف بالتحكيم ولو بصفة هدنة مؤقتة الى أن يوضع للبلاد نظام حاق ثابت

(٢) حفظ الحالة الحاضرة باعتراف كل حكومة مستقلة في قسم الجزيرة باستقلال سائر الحكومات الموجودة فيها اليوم وترك مسائل

(١) كجبل سمقان التي يتقاتل عليه صاحبا اليمن وعسير ووادي طربة التي يتنازع فيه صاحبا الحجاز ونجد

الحدود إلى مجلس التحكيم بحيث لا يعد اعتراف بعضهم باستقلال بعض متضمنا للرضا بالحدود المختلف عليها .

(٣) حرية المذاهب الدينية الموجودة فى البلاد فى التعليم والعمل والدعوة بشرط عدم طعن أحد فى مذهب غيره ، أو تكفير متبعيه بل يتبع فى ذلك قوله تعالى « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » فلكل أحد أن يبين بالدليل أو بنصوص المذاهب المعتمدة أحكام الدين والكفر والحلال والحرام ولكن ليس له أن يطبقها على طائفة معينة من أهل القبلة لان التطبيق له شروط. ولا سيما فى شأن الطوائف والجماعات التى تقيم الشعائر الاسلامية بل ليس لغير الحاكم الشرعى فى الدعوى الشرعية أن يحكم بكفر شخص معين يدعى الاسلام ويقتله بذلك كما ينقل عن بعض الغلاة فى بعض البوادى فرب قائل قول أو فاعل عده بعض العلماء كفرا لدلالته عندم على عدم تصديق الرسول وقائل القول أو فاعل الفعل من المؤمنين الموقنين ولكنه جاهل أو متأول ولو ظهر له الحق فى المسألة لقبله مذعنا ورجع عما كان عليه تائبا مستغفرا

(٤) حرية التجارة وحفظ الامن فى البلاد وتسهيل طرق المواصلات بينها وتنظيم مصلحة البريد والبرق والمبادرة الى انشاء تلغراف لاسلكى فى البلاد ولا سيما عواصمها .

(٥) ارسال كل حكومة معتمدا الى مقر عاصمة الاخرى يكون

وكيلا لها عندها كما هو المعهود بين جميع الحكومات التي بينهـا عهود ولها مصالح في بلاد الأخرى

(٩) بعد حصول هذه التمهيدات يتألف لهذه الحكومات مجلس حلفي يكون هو المرجع في حل جميع مسائل الخلاف ووضع الحدود بين البلاد وجميع ما يتعلق بحفظها وترقية شؤونها . وأنا منى وأمثالي من أئمة اليمن والحجاز ونجد شرعوا في تنفيذ هذا العمل الذى دعوا اليه جميعا قبل أن تشتد الحاجة اليه بوقوع الحرب العظمى وكثر الحديث فيه ـ فإن عقلاء الامة العربية في سائر البلاد وأهل الغيرة من مسلمي الاعاجم يعدونهم بآرائهم السديدة ومساعداتهم الرشيدة في تنفيذ الاتفاق الحلفي ونظام مجلسه وسائر ما يحتاجون اليه في ذلك وفيما يترتب عليه من ايجاد وسائل الثروة في البلاد .

فيا أيها الأئمة المتبعون في بلادكم أنكم تعلمون أنكم مسئولون عند الله تعالى من كل ما يتعلق بأمر البلاد وأهلها ولعلكم لا تعلمون حق العلم قدر اهتمام الشعوب الاسلامية الاخرى أمركم وما يقولون عنكم كلما بلغهم شيء من أنباء اختلافكم وتقاتلكم ألا فاعلموا أن جميع العقلاء منهم ومن غيرهم يعلمون علم اليقين أن اتفاقكم خير لكل منكم وأن بقاء هذا الشقاق بينكم أكبر مصاب عليكم وعلى شعبكم وأمتكم وملتكم « فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم » والسلام على من اتبع الهدى ورجح المصلحة العامة على الهوى محمد رشيد رضا